**محاضرة 16:الفترة المظلة**

في نفس السنة التي اكتشفت فيها امريكا سقطت غرناطة اخر مركز للفكر العربي الاسلامي ومع ان احداث سنه 1492 تمثل اتساعا للأفق الجغرافي بالنسبة للعالم عامه وللغرب خاص الا انها كانت نهاية للفكر الجغرافي العربي. ففي اليوم الثاني من شهر كانون الثاني عام 1492 احتلت غرناطة كما احتلت بغداد قبلها سنه 1258 وقبل احتلال غرناطة كانت الدولة العثمانية قد برزت للوجود واصبحت القسطنطينية عاصمه لها منذ سنه 1453 وامتدت سيطرتها الى شرق البحر المتوسط فتم فتح مصر وبلاد الشام على يد سليم الاول سنه 1517 وازدادت قوتها البحرية بعد انشاء اسطول بحري قوي.

 وصاحب ظهور قوة الدولة العثمانية ظهور الدولة الروسية منذ سنه 1505 وفي هذه الفترة كانت الدولة الفارسية قد بسطت سيطرتها على ايران واصبح العراق تحت سيطرت الدولة العثمانية، وكان من نتيجة تلك الاعمال السياسية ان تجزأت وحدة الوطن العربي السياسية والعلمية واضمحلت قوته السياسية واختفت الكتابات الجغرافية العربية وحلت محلها كتابات جغرافية باللغة التركية والفارسية.

اما الفكر الجغرافي العربي في القرن السادس عشر الميلادي الذي يعد بداية الفترة المظلمة فقد ظهرت فيه خصائص جديده تمثلت في التأكيد على الجغرافية الملاحية التي تأتي نموذجا من نماذج الفكر الجغرافي العربي ، التي استنفذ معظمها منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي.

والجغرافية الملاحية العربية تعد قاعده للملاحة البحرية العالمية في تلك المرحلة فقد تمت المعرفة الملاحية وبرزت لدى سكان شبه الجزيرة العربية منذ القرن السابع قبل الميلاد.
فمع ان نتائج الملاحة برزت على يد غير الغرب عندما تم اكتشاف العالم الجديد وطريق رأس الرجاء الصالح الا ان الدور العربي في تثبيت الجغرافية الملاحية لا يمكن تناسيه لأنها وصلت الى مستوى عال .

فعندما وضع فرامور framer مصوره الجغرافي سنه 1957 اشار الى ان ملاحا عربيا ابحر سنه 1430 من المحيط الهندي حول القاره الأفريقية فظهر في المحيط الاطلسي كما ان فاسكود يغاما في سنه 1497\_ 1498 اثاره مشاهدة السفن العربية التي تحمل البوصلة وهو يذكر ذلك حرفيا بقوله ( ويحمل الربانية بوصلات لتوجيه السف وآلات للرصد وخارطات بحريه ) ووجد فيها بعض الكتب المخطوطة والتي قام بأرسالها الى الملك مانوؤيل كما ان البوكرك الذي جاء بعد ديكاما اشار الا انه مدين بفتوحاته البحرية في المحيط الهندي الى خارطة عربيه بحريه من عمل ربان عربي اسمه عمر.

 ومع ان القرن السادس عشر قد شهد تطور في رسم الخرائط واصبحت السيادة بيد
الغرب الا اننا لا يمكن ان نتناسى ما وصلت اليه المعرفة الملاحية في هذه المرحلة . علما بان علم الملاحة في مجال الفكر الجغرافي العربي كان يشغل اهتماما كبيرا منذ بداية الفكر العربي سواء ما كان منه قبل الاسلام او في العصر الاسلامي لان طبيعة الموقع العربي فرضت عليهم معرفه المياه التي تحيط بشبه جزيرتهم منذ فجر حضارتهم.

وكذلك الحال بالنسبة للفترة التي سبقت سقوط بغداد فقد كان للتوسع التجاري العربي الاسلامي اثر كبير في تركيز المعرفة الملاحية في الفكر الجغرافي فقد اشار ابن ماجد في مؤلفاته الى اسماء عدد من المؤلفين في العصر العباسي والذين سبقوه ومنهم محمد بن شاذان وسهل بن ايان والليث بن كهلان كما اشار المسعودي الى دور العرب في وضع الكثير من العبارات الخاصة بالملاحة وقد توجت الملاحة العربية بمؤلفات ابن ماجد والمهري.

-1ابن ماجد

هو شهاب الدين احمد بن ماجد السعدي النجدي والذي ينحدر من اشتغل افرادها بقيادة السفن حيث كان جدة وابوه معلمين ويعود الادب والاساطير اليهم ،حتى ان الملاحين في عدن كانوا الى منتصف القرن التاسع عشر ينسبون اختراع البوصلة الى ولي من اهل الشام يدعى الشيخ ماجد.

 ويعد ابن ماجد من اهم الذين الفوا وكتبوا في الملاحة البحرية ونستخلص ذلك من الاسماء والالقاب التي اطلقها ابن ماجد على نفسة من خلال مؤلفاته (ناظم القبلتين مكة وبيت القدس \_حاج الحرمين الشريفين \_اسد البحر الزاخر \_المعلم العربي).

واثاره كثيرة يبلغ عدد الموجود منها في الآونة الحاضرة اربعين مصنفا وتمتاز كتاباته بالأصالة ومعظم مؤلفاته قد نظمت شعرا ماعدا واحدة من مصنفاته الكبرى قد كتب نثرا وهو(كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد ).وتعرف مصنفاته الاخرى بالأراجيز وتعالج كل واحدة منها الكلام عن طريق بحري معين أي انها اشبه ما يكون بمرشدات بحرية.
ومن الصفات الحميدة لهذا العالم العربي انه يقدر السابقين له فقد اشار الى المصنفات التي راجعها فذكر منها كتب بطليموس والنباتي وعبد الرحمن الصوفي والمراكشي والطوسي وابن حوقل وابن سعيد وياقوت.

 ويمتاز ابن ماجد بقراته الكثيرة في مجال الادب ولا تقتصر مطالعاته على الجغرافية الملاحية وله اطلاع في الادب الجغرافي العربي في معظم جوانبه وقد انعكس ذلك على كتاباته فبرزت فيها صفة الاعتزاز بنفسه .وقد برز الكثير من الباحثين اعتزاز ابن ماجد بنفسه وعزو ذلك الى كونه اول مؤلف للمرشدات البحرية الحديثة كما انه
بارع في معرفة الرياح البحرية وفي مقدمتها الرياح الموسمية.

-2سليمان المهري

 اصلة من بلاد العرب ومن مدينة الشعر على الساحل الجنوبي لحضر موت وله في فن الملاحة مؤلفات نشر منها اربعة كتب او كتيبات ورساله وهي (العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية )التي الفها سنة 917ه/1541م وتنقسم الى سبعة ابواب وتنقسم بدورها الى فصول وقد تناول في هذه الفصول الفلك البحري والنجوم وما يتعلق بها من شؤون الملاحة وطرق البحرية والقياسات.

 اما المصنف الثاني فيحمل عنوان (كتاب المناهج الفاخر في علم البحر الزاخر )وينقسم الى سبعة ابواب تناول فيها السواحل القارية للمحيط الهندي والموانئ الموجودة والجزر الكبيرة المأهولة بالسكان والمسافات بين بلاد العرب وساحل الهند الغربي، واهم العواصف التي تتعرض لها السفن والعلامات التي تستدل بها على الاقتراب من سواحل العرب
لقد كان كل من ابن ماجد والمهري اهم ظاهرة تمثل الفكر الجغرافي في فترته المظلمة ويمثلان اخر تيار اصيل في هذا الميدان حتى القرن العشرين وما دمنا نتابع الفكر الجغرافي العربي في المدة المظلمة فلا بد من الاشارة الى اهم الظواهر التي برزت في الفترة المظلمة ومنها :
أ\_ظهور مراكز اسلامية خارج الوطن العربي اخذت تتابع بعض التطورات للفكر الجغرافي وكان وراء ظهور هذه المراكز ما قدمه الفكر الجغرافي العربي من مصادر اساسية يمكن وصفها بطابع اقليمي محدود ولذلك فقد برز في هذه المدة مركزان للفكر الجغرافي تمكن من الاستفادة من الثروة الفكر ة الجغرافية العربية وتحويلها الى فكرة قطرية وهذا المركزان هما المركز الفارسي والمركز التركي .

ب\_ حاولت الاقطار العربية. العراق وبلاد الشام ومصر والمغرب العربي ان تسير بما تبقى لها من التراث على طريق الاعادة والاقتباس دون تجديد، فقد ظهر مصنف النعيمي في سورية وكتاب ابن طولون في الجغرافية الإقليمية في دمشق وفي جدة كتب محمد بن عبد العزيز القرشي (جار الله) كتابة المعروف (السلاح والعدة في بندر جدة)وهو كتاب في الجغرافيا الاقليمية ولقد استمر ادب الرحلات ولكن بطابع محدود يرتبط بالفكر الجغرافي التركي لان معظم هذه السفرات كانت باتجاه تركيا ومن هذه الرحلات
رحلة مكاريوس الانطاكي الى روسيا.

ومن الرحلات التي تنتسب الى القرن السابع عشر رحلة الياس بن حنا الموصلي الى امريكا الجنوبية التي خرج فيها من بغداد سنة 668 م .
اما اوصاف هذه الرحلات العربية التي خرجت في هذه المدة والتي ساهمت فيها الاوساط المسيحية التي اصبحت تكون حلقة الوصل بين الدولة العثمانية وجيرانها .
فهذه الرحلات لا ترتفع الى مصاف المصنفات المبكرة من هذا الطراز.

واستمرت هذه الانماط الممثلة في الجغرافية الاقليمية والرحلات فشغلت معظم الباقية من لمدة المظلمة ولما كانت نهاية الفترة المظلمة قد امتدت الى الدولة العثمانية التي كانت مسيطرة على الوطن العربي فقد بقي الفكر الجغرافي يسير على انماط الفترة المظلمة المتمثلة في الرحلات والكتابة عن الاقاليم حتى سقوط الدولة العثمانية